

سقوط قرطبة وأثره على مستقبل الوجود الإسلامي في الأندلس.

1236/633م

**The fall of Cordova and its impact on the future of the
Islamic presence in Andalusia. 633 AH / 1236 AD**

الدكتور: مرزاق بومداح

المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة- الجزائر

merrzzakk@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/12/11 تاريخ القبول: 2021/12/12 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص:

كان لهزيمة دولة الموحدين في معركة حصن العقاب في سنة 609هـ/1212م على يد ملك قشتالة ألفونسو الثامن أن تعرضت بلاد الأندلس إلى اضطرابات كبيرة في مجالها السياسي والعسكري والأمني، وقد استغلت الممالك النصرانية في الأندلس هذه الفرصة وتمكنت من الاستيلاء على الكثير من المدن الأندلسية، ومن ضمنها مدينة قرطبة التي سقطت بيد ملك قشتالة فرناندو الثالث، وبموجبها خسر المسلمون صرحا حضاريا كبيرا، وشجع ممالك الأندلس النصرانية كأرغون وقشتالة والبرتغال على مواصلة عملياتهم العسكرية في احتلال باقي مدن الأندلس، وتمكنوا في فترة وجيزة من السيطرة على كامل الأندلس الإسلامية، ولم يبق للمسلمين سوى إقليم غرناطة الذي تمكن من الصمود في وجه الاحتلال النصراني مدة 250 عاما.

كلمات مفتاحية: قرطبة؛ الأندلس؛ ابن هود؛ قشتالة؛ فرناندو الثالث.

Abstract:

The defeat of the Almohad state in the battle of Las Navas de Tolosa in the year 609 AH/1212 AD by King of Castile Alfonso VIII that the country of Andalusia was exposed

to great disturbances in its political, military and security fields, and the Christian kingdoms in Andalusia took advantage of this opportunity and were able to seize many Andalusian cities, and from Including the city of Cordova, which fell to the hands of the King of Castile Fernando III, and under which the Muslims lost a great civilizational edifice, and encouraged the Christian kingdoms of Andalusia such as Argon, Castile and Portugal to continue their milita<ry operations in occupying the rest of the cities of Andalusia, and they were able in a short period to control the entire Islamic Andalusia, leaving the Muslims only Granada, which managed to withstand the Christian occupation for 250 years.

Keywords: Cordova; Andalusia; Ibn Hood; Castile, Fernando III

المؤلف المرسل: الدكتور مرزاق بومداح

1. مقدمة:

خضعت بلاد الأندلس للحكم الإسلامي ابتداء من سنة 92هـ/711م، ومنها مدينة قرطبة التي ازداد دورها وعظمت مكانتها في العهد الأموي باعتبارها عاصمة للإمارة والخلافة الأموية، وأصبحت من أكبر حواضر الإسلام خلال العصور الوسطى.

والإشكالية المطروحة: كيف كانت أوضاع قرطبة مع بداية القرن 7هـ/13م؟ وما هي العوامل التي أدت إلى سقوطها بيد النصارى الإسبان؟ وما هي أهم الآثار المترتبة عن هذا السقوط؟

2. أوضاع الأندلس قبيل سقوط قرطبة

أصبحت بلاد الأندلس أرضاً إسلامياً منذ أن تم فتحها من طرف المسلمين بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير في سنة 92هـ/711م، وقد مر الحكم

سقوط قرطبة وأثره على مستقبل الوجود الإسلامي في الأندلس (633هـ/1236م)

الإسلامي بهاته البلاد بعدة مراحل ابتداء من عصر الولاة الذي استمر من الفتح الإسلامي في عام 92هـ/711م إلى قدوم عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس في عام 138هـ/756م⁽¹⁾، ثم يبدأ عهد الدولة الأموية بقسميه: عهد الإمارة من عام 138هـ/756م إلى غاية 316هـ/928م، ثم عهد الخلافة الأموية بالأندلس الذي يستمر إلى سنة 422هـ/1031م تاريخ سقوطها⁽²⁾ وبداية عصر ملوك الطوائف الذي يستغرق حوالي 62 سنة أي إلى سنة 484هـ/1092م⁽³⁾ ليبدأ عهد المرابطين الذي يستمر إلى غاية 540هـ/1145م، وهو تاريخ إلحاق بلاد الأندلس لحكم دولة الموحدين⁽⁴⁾

وفي عهد دولة الموحدين جرت موقعة العقاب في سنة 609م/1212م والتي انتهت بهزيمة منكرة للموحدين على يد النصارى، وكان لهذا الانهزام آثاره المدمرة على دولة الموحدين في بلاد المغرب والأندلس، وأدى ذلك إلى سقوط العديد من المدن الأندلسية بيد نصارى إسبانيا والبرتغال⁽⁵⁾.

وفي هذه الفترة الحرجة من تاريخ الأندلس، وبعد وقوع العديد من مدنه بأيدي الممالك النصرانية كقشتالة وأرغون والبرتغال، بدأ بعض زعماء الأندلس بالاستقلال عن دولة الموحدين أمثال محمد بن يوسف بن هود الجذامي⁽⁶⁾ في سنة 625هـ/1228م في مرسية، ومحمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر⁽⁷⁾ في أرجونة وغرناطة في سنة 529هـ/632م، وأما بالنسبة لمحمد بن يوسف بن هود الجذامي، فقد اعترفت بطاعته مرسية وشاطبة وجيان وغرناطة ومالقة والمرية ثم إشبيلية قاعدة الحكم الموحيدي، واجتمعت معظم قواعد الأندلس تحت طاعته، وغدا زعيم الأندلس الحقيقي، وقائد حركتها التحريرية، والمسئول عن حمايتها والذود عنها ضد النصارى. وفي ظل هذا الشعار سار ابن هود لإنجاد ماردة، حينما دهمها الليونيون⁽⁸⁾، ولكنه هُزم في هذه المعركة، وسقطت ماردة وبطليوس في أيدي النصارى في سنة 627هـ/1230م⁽⁹⁾.

واستولى ابن هود على الجزيرة الخضراء، وجبل الفتح من أيدي الموحدين في سنة 629 هـ/1232م، وكان استيلاؤه عليهما بمعاونة أبي عمران موسى والي سبتة، والذي تنازل في نفس الوقت لابن هود عن مدينة سبتة، ثم خاض ابن هود وهو عائد إلى الشمال في أواخر هذا العام مع القشتاليين وعلى مقربة من وادي آش معركة انتصر فيها، وقتل معظمهم، ولكنه عاد فاشتبك مع القشتاليين في العام التالي، على مقربة من شريش في معركة هُزم فيها، ورأى على أثر ذلك أن يعقد الهدنة مع القشتاليين، وذلك في أواخر سنة 630 هـ/1233م، وكان ابن هود قد رأى منذ البداية، أن يستظل بلواء الدولة العباسية، فرفع الشعار الأسود، ودعا للخليفة المستنصر بالله العباسي (623-640 هـ/1226-1242م)⁽¹⁰⁾، وبعث إليه ببغداد يطلب المرسوم والخلع الخلافة، فبعث إليه الخليفة العباسي المستنصر بالمرسوم والخلع والرايات، ولقب بأمر المسلمين سيف الدولة المتوكل على الله، وكان ذلك في عام 630 هـ/1233م⁽¹¹⁾.

وأما بالنسبة لمحمد بن يوسف بن محمد النصري المعروف بابن الأحمر، فإنه لما رأى انهيار سلطان دولة الموحدين بالأندلس بعد معركة حصن العقاب، واضطراب أمر الأندلس، ووقوع بعض مدنه بأيدي النصاري، وظهور ابن هود في الشرق، والذي أخذ سلطانه يمتد نحو الجنوب، فاعتنم ابن الأحمر الفرصة فدعا لنفسه، وبويع أولا في أرجونة موطن أسرته ومثوى عصبته وأنصاره، وفي الجهات المجاورة لها، وكان ذلك في سنة 629 هـ/1232م. وفي العام التالي دخل مدينة جيان وبويع بها، ثم أطاعته بسطة، ووادي آش، وهكذا قوي أمره وامتد سلطانه بسرعة إلى أنحاء الأندلس الوسطى، وأخذ يتطلع إلى الاستيلاء على قواعده الجنوبية. وكان ابن الأحمر، يرى منذ البداية، أن يستظل بلواء سلطة إسلامية كبرى. فدعا أولا للأمير أبي زكريا الحفصي (598-647 هـ/1202-1249م)⁽¹²⁾

صاحب إفريقية وتلقى منه بعض العون، ولكنه عاد، فدعا على نمط ابن هود للخليفة العباسي، المستنصر بالله⁽¹³⁾.

ومما زاد في خطورة الأمر دخول ابن هود وابن الأحمر في حروب داخلية من أجل التفرد بحكم الأندلس، وأخذ كل طرف يتأهب لخوض الحرب لتحقيق هذه الغاية، فقام ابن هود بعقد هدنة مع مملكة قشتالة للتفرغ لقتال ابن الأحمر، وقام هذا الأخير بعقد تحالف مع أبي مروان أحمد بن محمد الباجي المتغلب على إشبيلية، وزوجه ابنته، واتفق الاثنان على مقاومة ابن هود ومحاربته⁽¹⁴⁾.

وتجهز ابن هود وابن الأحمر للقتال، ودارت بين الطرفين في أوائل سنة 631 هـ/1233م معركة بالقرب من مدينة إشبيلية، انتصر فيها ابن الأحمر مع حليفه الباجي، حيث تمكنا من دخول إشبيلية بعد ذلك بقليل، ولم يلبث أن دس ابن الأحمر على حليفه الباجي أحد أصهاره من بني أشقيلولة فقتله، وذلك في جمادى الأولى من نفس السنة، وبادر ابن الأحمر فاحتل القصبه، وحاول أن يبسط سلطانه على المدينة، ولكنه لم يلبث فيها سوى شهر، فثار عليه أهل إشبيلية، وأخرجوه من القصبه ومن المدينة عنوة، ثم عاد أهل إشبيلية وأعلنوا ولائهم لابن هود الذي أرسل إليهم أخاه الذي يدعى سالم، والملقب بعماد الدولة ليتولى حكمها مرة أخرى⁽¹⁵⁾.

وفي الحقيقة أن دخول ابن هود وابن الأحمر في حروب طاحنة، قد أدت إلى سفك الكثير من دماء المسلمين⁽¹⁶⁾، بالإضافة إلى أنها كانت لا تخدم سوى ملك قشتالة المترص بهما معا، وأدرك ابن هود وابن الأحمر أنه لا فائدة من هذه الصراع المؤلم الدائرين المسلمين، لذا تم عقد الصلح بين الطرفين، وكان ذلك في شوال من سنة 631 هـ/جوان 1234 م، وجاء في بنود الاتفاق أن يعترف ابن الأحمر بطاعة ابن هود على أن يقره هذا الأخير في حكم الولايات التالية: جيان وأرجونة وبركونة وأحوازها، ويذكر ابن خلدون أن اعتراف ابن الأحمر بطاعة ابن

هود كان على أثر وصول العهد الخلافي من الخليفة العباسي المستنصر بالله إلى ابن هود يقره فيه على حكم الأندلس، وكان ذلك في عام 631هـ/1233م⁽¹⁷⁾.

وفي الواقع فإن الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الأندلس آنذاك أدت بـابن هود وابن الأحمر إلى وقف القتال، وعقد الصلح بين الطرفين، وخاصة أن ابن هود قد وصلته أنباء أثناء حصاره للبلدة -بعد أن ثار عليه قاضيها شعيب بن محمد بن محفوظ ودعا لنفسه، وتسمى بالمعتصم في سنة 632هـ/1233م- بأن ملك قشتالة فرناندو الثالث (Fernando III) (614-650هـ/1217-1250م) قد خرج في قواته صوب الأندلس يريد محاربته، ولكن فرناندو الثالث انحرف بقواته نحو منطقة جيان التي يسيطر عليها ابن الأحمر، وأخذ يعيث في أحواز أرجونة، وجيان، وترك ابن هود حصار لبلدة، دون أن ينال منها مأرباً، ليعود إلى أراضيه، وهناك فيما بين إشبيلية وقرطبة وفد إليه سفير فرناندو الثالث، ألبار بيرث، وجرت بينهما مفاوضات، انتهت بالاتفاق على تجديد الهدنة، بين ابن هود وملك قشتالة لمدة ثلاثة أعوام، وذلك على أن يدفع ابن هود لملك قشتالة إتاوة قدرها مائة ألف وثلثون ألف دينار، دفع منها في الحال خمسين ألفاً، وقسط الباقي على الأعوام الثلاثة، وعلى أن ينزل ابن هود عن بعض الحصون الواقعة في منطقة جبل الشارات (سيراً مورينا)، وهي حصون نائية، منقطعة لم يكن من السهل أن يدافع عنها أو ينجدها المسلمون. ويذكر لنا ابن خلدون إن هذه الحصون كانت ثلاثين، وأن ملك قشتالة تعهد بأن يتخلى عن معاونته ابن الأحمر، وأن يعاون ابن هود على تملك قرطبة. على أن هذا القول بالنسبة لابن الأحمر لم يكن يتفق مع ما تم من عقده للسلم مع ابن هود ومبايعته له، وهو ما يقرره لنا ابن خلدون نفسه حسبما سبقت الإشارة إليه. وكان عقد هذه الهدنة بين ملك قشتالة وابن هود في أواخر سنة 632هـ/صيف سنة 1235م⁽¹⁸⁾.

وبعد أن تم عقد الصلح بين ابن هود وملك قشتالة فرناندو الثالث، قفل هذا الأخير عائداً إلى بلاده، وفي أثناء سيره قام بمحاصرة " حصن الأطراف (Iznataraf)، فاستسلم إليه في الحال على أن يمنح الأمان لمن كان به من المسلمين، وأن يغادره حاملين ما استطاعوا من أمتعتهم. ثم حاصر من بعده حصن شنت إشتين، وهو من الحصون الواقعة في طريق بياسة وأبدة، فسلمه المسلمون إليه بنفس الشروط، واستولى فرناندو الثالث في طريقه أيضاً على عدة حصون أخرى في منطقة جيان، وكانت هذه الحصون التي استولى ملك قشتالة فرناندو الثالث كلها من الحصون التي نص على تسليمها في الهدنة التي عقدت مع ابن هود⁽¹⁹⁾.

3. أوضاع قرطبة قبيل سقوطها:

كانت قرطبة في بداية القرن 7هـ/12م ميدانا للفضى والمأساة؛ فبعد هزيمة الموحدين في معركة حصن العقاب في سنة 609هـ/1212م تعاقب على حكم الدولة الموحدية سلاطين ضعاف، وحدثاء السن، واشتد التنازع على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة، فبعد وفاة أمير دولة الموحدين الناصر في سنة 610هـ/1213م خلفه ابنه المستنصر، وكان عمره ست عشرة سنة، ومات بعد عشر سنوات في شهر ذي الحجة من سنة 620هـ/جانفي 1224م، وبويع عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالملخوع، ثم تم خلعُه في 21 شعبان من سنة 621هـ/1225م، وتمت بيعه عبد الله بن المنصور وتلقب بالعدل، وكان أخوه أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور واليا على مرسية، ونهض عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالظافر والمعروف بالبياسي، وكان واليا على جيان، فعمل لحسابه ولشخصه، وخلع الطاعة عن العدل، واستعان بملك قشتالة فرناندو الثالث، واستطاع أن يبسط سلطانه على قرطبة، وأن يضم إلى أملاكه معظم البلاد والحصون الواقعة بين بين إشبيلية وقرطبة، وأعلن أهل

قرطبة ولأئهم للبياسي في منتصف سنة 622هـ/1225م، وظاهر البياسي النصرارى، ودفع لملك قشتالة ثمنا لمعاونته حصونا من منطقة قرطبة تقع في شمالها وفي شرقها مثل سلبطرة وقباله وبرج الحمة⁽²⁰⁾.

وحاول البياسي الاستيلاء على إشبيلية، ولكن جيوش الموحيدين هزمته؛ فارتد إلى قرطبة، واستقبله أهلها بالثورة عليه، وقتلوه في ربيع الأول 623هـ/مارس 1226م، ثم أعلنوا طاعتهم للعادل، وندب هذا الأخير أخاه أبا العلاء إدريس واليا على قرطبة، بالإضافة إلى ولايته على إشبيلية، وذلك قبل سفره إلى مراكش إذ كان أهلها قد بايعوه بعد خلعهم لأمير دولة الموحيدين عبد الواحد المعروف بالمخلوع⁽²¹⁾.

وكان ملك قشتالة فرناندو الثالث قد استولى على حصن أندوجر، وانتهز فرصة الاضطرابات فاستولى على بياسة ومرتش، وأصبح بفضل انتصاراته هذه، وبفضل الحصون التي تسلمها من البياسي يسيطر على مناطق الدفاع المحيطة بقرطبة وجيان، ورأى أبو العلاء إدريس أن يهادن ملك قشتالة فرناندو الثالث، ثم انبرى لأخيه العادل فأعلن خروجه عن طاعته، ودعا لنفسه بالخلافة، واتخذ لقب المأمون في شوال من سنة 624هـ/سبتمبر 1227م، ولم يمض ذلك الشهر حتى كانت دعوته قد لقيت صداها في مراكش، فثار أهلها على العادل وخلعوه ثم خنقوه، وبايعوا المأمون الذي لم يهنأ بالحكم غير أربع سنوات إذ مات في شهر ذي الحجة من سنة 629هـ/أكتوبر 1232م⁽²²⁾.

وكان المأمون قبل مغادرته إشبيلية إلى مراكش في سنة 625هـ/1228م قد ندب لولاية قرطبة أبا الربيع بن أبي حفص الذي كان واليا على جيان، وفي هذه السنة ظهر ابن هود كما أشرنا سابقا وأعلن ولائه للخليفة العباسي المستنصر، وأعلن عزمه على تحرير المدن الأندلسية من الموحيدين والنصارى على حد السواء، وانضمت إليه بعض المدن من شرق ووسط وجنوب الأندلس، وأعلن أهل قرطبة

ولأنهم لابن هود، وقتلوا واليها ابن الربيع، وأصبح ابن هود يسيطر على معظم المناطق التي كانت باقية بأيدي المسلمين، غير أن ظهور ابن الأحمر ودخوله في صراع مع ابن هود من أجل السيطرة على المدن الأندلسية قد أدى إلى انتزاع جيان ثم إشبيلية وقرطبة، ولكن أهل هاتين المدينتين قد ثاروا على أميرهم الجديد بعد أشهر، وعادوا إلى الدخول في طاعة ابن هود⁽²³⁾.

واشتد التنازع بين ابن هود وابن الأحمر، واستمر هذا الأمر لمدة خمس سنوات، وكان أهل قرطبة مذ أن ثار أهلها على الوالي الموحيدي أبي الربيع وقتله، حيارى في أمرهم، لا زعيم لهم ولا قائد، وكانوا يتقلبون في الولاء والطاعة بين ابن هود وابن الأحمر، وكان كل منهما يلتمس المساعدة من ملك قشتالة ويستنصره على الآخر، وكانت مملكتنا قشتالة وليون قد اتحدتا، وأصبح فرناندو الثالث ملكا عليهما، وكان هذا الأخير قد تسلم من ابن هود عدة حصون ثمنا لمعونته، وكانت قواته تتوغل في أحواز قرطبة، ثم مضت ثلاث سنوات أخرى كان أهل قرطبة يضطرمون في صهيل هذه المأساة⁽²⁴⁾.

4. سقوط قرطبة بيد الملك القشتالي فرناندو الثالث (شوال 633هـ/جوان 1636م):

الواقع أن غزوات فرديناند الثالث المتوالية للأراضي الأندلس، وعقده الاتفاقيات المهدئة مع ابن هود، وسيطرته على حصون منطقة جيان ومدينة أبدة؛ لم تكن سوى مقدمات لحدث أخطر وأبعد مدى، كان يعمل على تحقيقه ألا وهو الاستيلاء على قرطبة، وكانت المدينة آنذاك تمر بمرحلة عصيبة بسبب اختلاف سكانها، وتفشي الأحقاد، والخصومات بينهم، التي وصلت إلى حد الخيانة، كما تدهورت أوضاعها بشكل محزن بسبب ابتعاد الموحيدين عنها واتخاذهم مدينة إشبيلية عاصمة لهم، بالإضافة إلى إهمال الولاة لها، وتحول كثير

من أحيائها إلى خرائب، ولم تكن أوضاعها المتدهورة بخافية على فرديناند الثالث⁽²⁵⁾.

تذكر المصادر التاريخية أنه في أواخر ربيع الآخر 633هـ/أوائل جانفي 1236م خرجت جماعة من فرسان مملكة قشتالة، وهم من أهل الحدود المغاورين المحترفين، ومعظمهم من منطقة أندوجر الواقعة شرقي قرطبة، وتوجهوا صوب قرطبة، وعلموا أن المدينة في وضع سيء وقد أهملت وسائل الدفاع عنها، فطمعوا في الاستيلاء عليها، وكانوا قد أشرفوا عليها حين جنّ الليل، وكانت مدينة قرطبة في ذلك الوقت تنقسم إلى خمس مناطق أو أحياء متعاقبة، وبين كل منطقة وأخرى، سور فاصل، وكانت المنطقة الأولى الواقعة شرقي قرطبة، تعرف بالربض الشرقي أو "الشرقية" وتجتمع باقي المناطق فيما يسمى "بالمدينة"، وهي تقع غربي "الشرقية" وكلتاهما الشرقية والمدينة تقع على الضفة الشمالية لنهر الوادي الكبير؛ فلما وصل الفرسان القشتاليون وهم فئة قليلة، لا تحدد لنا الرواية عددها، وربما كانت تضم بضع عشرات - إلى مشارف "الشرقية" وضعوا في الحال خطة اقتحامها. وقد تطوع بعض الخونة ممن ينقمون على زعمائهم لمساعدتهم، فدلوهم على الأمكنة الضعيفة الحراسة، فأحدثوا ثلثة في سور المنطقة الشرقية واقتحموها، وأحدثوا فيها مذبحة مروعة، وهرب من نجا من سكانها إلى داخل المدينة، وعن هذه الحوادث المروعة يذكر ابن أبي زرع عند حديثه عن حوادث 633هـ/1236م بأن النصاري قاموا بالهجوم على شرقية قرطبة، وكان ذلك في ثالث شوال عشاء في غفلة السحار، وسلم الله عز وجل النساء والذراري حتى لحقوا بالغربية، وبقي الناس معهم في قتال عظيم⁽²⁶⁾.

وقام القشتاليون باحتلال بعض الأبراج المنيعّة في سور المدينة، وفي الحال وقع الهرج في المدينة، وتقدم المدافعون لمهاجمة النصاري، وقتل عدد من الجانبين، ولكن النصاري تحصنوا في الأبراج ورأوا أنهم لا يستطيعون بجمعهم

القليل اقتحام مثل تلك المدينة الكبيرة، لذلك طلبوا مساعدة عاجلة من حاميات الحدود، ومن الملك القشتالي فرديناند الثالث، فهرع اثنان من قادة الحدود وهما: أردونيو ألباريث، وألبار بيرث بجميع جند الحدود لنجدتهم، وتبعهما أسقف بياسة مع رجاله، ثم أسقف قونقة في قواته، وسار في أثرهم آخرون. ووصلت هذه الأنباء إلى فرناندو الثالث ملك قشتالة، وهو في بنفنتى على مقربة من ليون، ورغم اعتراض بعض رجاله ووزرائه لارتباطه بعقد الهدنة مع ابن هود، وكون قرطبة تدين بالطاعة لابن هود، وأنها تزخر بالسكان والمدافعين، ولا يتأتى افتتاحها إلا بقوات ضخمة، ومن جهة أخرى فإن ابن هود قد يضطر إلى إنجاءها بقواته، خصوصاً وأن قرطبة تعتبر في نظر المسلمين كبرى قواعد الأندلس، ولها في نفوسهم مكانة خاصة. بالإضافة إلى هذا كله ظروف الجو وقسوة الشتاء وفيضان الأنهار. ولكن ملك قشتالة لم يلق بالا إلى شيء من هذه الاعتراضات، ولم يكن يرى بالأخص في مهاجمة قرطبة نقضا لعهوده مع ابن هود؛ إذ كان فريق من أهل المدينة هم الذين استدعوا النصارى⁽²⁷⁾.

وانتاب سكان قرطبة الفرع والروع، فالتمسوا المساعدة من ابن هود، فلم يجهل هذا الزعيم الأندلسي مدى أهمية قرطبة كعاصمة للمسلمين في الأندلس، ومدى الخطر الذي سوف يتعرض له هؤلاء إذا سقط هذا المعقل في أيدي النصارى، ومن ثم فإنه لم يتردد في حشد جيش ضخّم بلغ تعداده خمسة وثلاثين ألف مقاتل، وسار لإنقاذ المدينة المهددة، ولما وصل إلى إستجة علم بأن فرديناند الثالث قد اقترب منها، فتوقف عن الزحف، وتخلّى عن مشروعه بتقديم المساعدة⁽²⁸⁾.

وهنا تختلف الروايات في إيضاح سبب عدم تقديم المساعدة من طرف ابن هود لأهل قرطبة. فيقال إن قسوة الطقس، وهطول الأمطار بشدة، ونقص المؤن، حملت ابن هود على التريث والإحجام. وورد في تاريخ ألفونسو العاشر أنه كان

يوجد في جيش ابن هود فارس قشتالي منفي بأمر مليكه يدعى لورنسو خواريز، ومعه مائتان من المرتزقة النصراني، وكان ابن هود يقربه ويثق به ويعمل بنصائحه. فلما نزل ابن هود وجيشه في إستجة، وهو يعتزم مقاتلة القشتاليين، فكّر هذا الفارس في أن يسترد رضى مليكه بخدمة عظيمة يؤديها إليه، وهو أن يعمل على خدعة ابن هود ورده عن مقاتلة القشتاليين، وإنجاد أهل قرطبة، فتظاهر بأنه سوف يتسلل إلى المعسكر النصراني تحت جناح الليل، ويقف على مبلغ عدده وعدته. وسار لورنسو بالفعل ليلاً مع أصحابه إلى المعسكر النصراني، وترك أصحابه على مقربة من المعسكر، وتقدم بنفسه إلى خيمة الملك، وطلب مقابلته لأمر خطير، فاقبده إليه، وكان الملك غاضباً عليه، فلما شرح إليه مهمته، وأنه يريد أن يعمل على خدعة ابن هود، وتخفيفه من قوة الجيش القشتالي وعدده، ورده عن مقاتلته، عفا عنه الملك، ووعدته برعايته، وتفاهم الاثنان على ما يجب عمله. وعاد لورنسو إلى ابن هود، وحذره بشدة من الاشتباك مع القشتاليين، لأنهم في جيش قوي، حسن الأهبة والعدد، ولا يؤمن الدخول معه في معركة. فاستمع ابن هود إلى نصحه، وقرر أن يتخلى عن مشروعه في إنجاد أهل قرطبة والاشتباك مع القشتاليين. هذا ما تقرره الرواية النصرانية عن السبب في إحجام ابن هود عن إنجاد أهل قرطبة. وتزيد الرواية النصرانية على ذلك، أن ابن هود تلقى في اليوم التالي رسالة من صاحب بلنسية أبي جميل زيان، ينبئه فيها بأن ملك أرغون خايمي الأول (Jaim I) (610-675هـ/1213-1276م) يشدد في مضايقته وإرهاقه، ويطلب إليه الإنجاد والغوث، وأن ابن هود عملاً بنصح مستشاره لورنسو خواريز، فقرر أن يسير إلى بلنسية، وقد كان يطمح إلى امتلاكها، وأنه ترك قرطبة إلى مصيرها، مؤملاً أن يصمد أهلها للدفاع عنها، إلى أن يستطيع هو انقاذها فيما بعد⁽²⁹⁾.

على أن هذه الروايات النصرانية لا تلقى في نظرنا أي ضوء مقنع على تصرف ابن هود. ومن جهة أخرى فإن الرواية الإسلامية تكاد تلزم الصمت المطبق في هذا الموطن. وكل ما هنالك أن ابن أبي زرع يقدم إلينا خلال حديثه عن حوادث سنة 633هـ/1236م وبعد ذكره لسقوط قرطبة، نصاً موجزاً يقول فيه: " وفيها انعقد الصلح بين ملك قشتالة (قشتالة)، وابن هود لأربعة أعوام بأربعمئة ألف دينار في السنة ". ويبدو من هذا النص أن الهدنة، بين ابن هود وبين فرناندو الثالث، كانت قد انتهت أو انقطع سريانها، لتخلف ابن هود عن أداء الإتاوة المشروطة أو غير ذلك من الأسباب، وأن التخلي عن إنجاد قرطبة ربما كان ضمن شروط الهدنة الجديدة، التي يشير إليها ابن أبي زرع، وهذا ما يمكن أن يستدل كذلك من سير الحوادث تحت أسوار المدينة المحصورة. ويذكر لنا أحمد فكري أن ابن هود كان غافلاً أو مستغفلاً، أو مشغولاً بتحركات غريمه ابن الأحمر، وهو على كل حال لم يحاول التقدم لنصرة أهل قرطبة في قتالهم الشديد ضد النصاري، وكذلك لم يحاول ابن هود أن يستدعي ابن الأحمر لمعاونته، أو أن يمكنه لوحده من محاولة نجدة قرطبة التي صمدت ستة أشهر، وكان في هذه الفترة متسع من الوقت لوصول قوات ابن هود أو ابن نصر (ابن الأحمر)، ولكن تنافس الغريمين على مد سلطانهما قد شل حركاتهما، ودفعهما إلى تقديم قرطبة وأهلها هدية سائغة لحليفهما المشترك ملك قشتالة وليون (فرناندو الثالث)⁽³⁰⁾.

وشدد الملك القشتالي فرناندو الثالث حصاره على مدينة قرطبة، وقطع كل علائقها من جهة البر، ومن جهة الوادي الكبير، حتى لا تستطيع أن تتلقى أية مؤن أو أمداد من الخارج، فنضبت أقواتها واضطر سكانها إلى التفاوض معه بشأن التسليم مقابل الأمان على أنفسهم، وفيما يستطيعون حمله من أموالهم، فوافق الملك القشتالي على تلك الشروط، إلا أنه لم يسمح لهم بالاحتفاظ بشيء من أملاكهم، ووصل إلى أسماع أهل قرطبة أن الجيش القشتالي تنقصه المؤن، وأنه

يعانى أيضاً من قلة الأقوات، فنكلوا عن توقيع عهد التسليم أملاً في أن يضطر القشتاليون إلى رفع الحصار، وتنجو المدينة من السقوط. وعندئذ شعر ملك قشتالة أن لابن هود يداً في هذا التحول، فبعث في الحال إلى محمد بن الأحمر أمير جيان، وعقد معه عهداً جديداً بالتحالف، وقد كان ابن الأحمر بالرغم من عقد الهدنة مع ابن هود ما يزال هو خصمه، ومنافسه في زعامة الأندلس، وكان فوق ذلك خصيماً لأهل قرطبة لأنهم طردوه من مدينتهم⁽³¹⁾.

وأدرك أهل قرطبة أنه لا أمل لهم في إمكانية رفع الحصار عن مدينتهم، وعادوا إلى المفاوضات في التسليم، على شروطهم السابقة. وكان قد مضى على الحصار بضعة أشهر، وأضحى الموقف مستحيلاً، خصوصاً بعد أن نكل ابن هود عن إنجاد المدينة المحصورة، وأحجم عن كل اشتباك مع القشتاليين. وكان بعض الغلاة ممن رافق ملك قشتالة في حملته على قرطبة من الأحرار والأشراف، يرون رفض التسليم واقتحام المدينة، وقتل كل أهلها المسلمين، ولكن ملك قشتالة ومعه فريق آخر من مستشاريه، كان يرى أن هذا الإجراء قد يدفع أهل المدينة إلى اليأس، وتخريب المدينة، ومسجدها الجامع، وتحطيم سائر ذخائرها وثرواتها. والظاهر أيضاً أن ابن الأحمر، حليف ملك قشتالة أو تابعه، كان له يد في إقناعه بقبول التسليم وتأمين أهل المدينة. وفي نفس الوقت عقدت بين ملك قشتالة، وابن هود هدنة جديدة لمدة ستة أعوام يلتزم فيها ابن هود بأن يدفع إتاوة قدرها اثنين وخمسين ألف مرافيدى على ثلاثة أقساط سنوية، وتمكن النصارى من دخول قرطبة في يوم الأحد 22 شوال 633هـ/29 حزيران 1236م⁽³²⁾.

5. آثار سقوط قرطبة:

كان لسقوط قرطبة بيد ملك قشتالة النصراني فرناندو الثالث عواقب وخيمة على بلاد الأندلس وعلى العالم الإسلامي ككل، ومن أهم هذه الآثار نذكر ما يلي:

1- تحويل قرطبة من مدينة إسلامية إلى مدينة نصرانية، فبعد أن دخل الجند القشتاليون مدينة قرطبة في يوم الأحد 23 من شهر شوال سنة 633 هـ الموافق 29 جوان سنة 1236م، وفي الحال رُفع الصليب على قمة صومعة جامعها الأعظم، ودخل أسقف أوسمة إلى الجامع، وحُول في الحال إلى كنيسة. وفي اليوم التالي أي في يوم الإثنين 30 جوان دخل فرناندو الثالث ومن معه من الأشراف وغيرهم قرطبة، ثم دخل الجامع، وهناك استقبله أساقفة أوسمة، وبباسة، وقونقة، وسائر رجال الدين النصراني. ثم سار فرناندو الثالث بعد ذلك إلى قصر قرطبة، القريب، وهو قصر الأمراء والخلفاء الأمويين القدماء، ونزل فيه، وندب لحكم المدينة المفتوحة الدون تليو ألفونسو، وحشدت لحراسة المدينة حامية كافية من الفرسان، وأخذ النصراني يفتدون إليها من سائر الأنحاء لسكانها وتعميرها، وفق الخطة التي وضعها الملك لذلك، وبعدها انصرف ملك قشتالة، عائداً إلى بلاده⁽³³⁾.

2- أدى سقوط قرطبة إلى وقوع الكثير من المسلمين قتلى وأسرى في يد النصراني، وأما الباقي منهم فإنه ما كاد عهد التسليم يعقد بين أهل المدينة، وبين ملك قشتالة حتى تركوا دورهم، وأوطانهم، وغادروا مدينتهم العزيزة التالدة، حاملين ما استطاعوا من أمتعتهم، وقد برح بهم الجوع والحزن، وتفرقوا في أنحاء الأندلس الأخرى⁽³⁴⁾.

3- خسر المسلمون إحدى كبرى حواضر الإسلام حيث كانت قرطبة حاضرة الأندلس الكبرى، وعاصمة الغرب الإسلامي، وكانت تضاهي في مكانتها العلمية بغداد والقاهرة ودمشق وغيرها، وكانت قرطبة مثنى العلوم والآداب الأندلسية، ومنارة ساطعة، ومثنى للفضل والمعرفة، ومرتوى للطلبة والعلماء في سائر أنحاء شبه الجزيرة، وفيما وراء جبال البرنيه، وذلك بعد أن حكمها المسلمون، منذ افتتاحها في سنة 92 هـ/711م خمسمائة وخمسة وعشرين عاماً⁽³⁵⁾.

4- سقطت قرطبة التي كانت عاصمة للأندلس منذ عهد الولاة إلى عهد الخلافة الأموية، وبالتالي كانت قرطبة تعتبر من كبرى قواعد الأندلس، ولها في نفوس المسلمين مكانة خاصة، وكان لسقوطها بيد فرناندو الثالث القشتالي تأثير كبير في إضعاف معنويات المسلمين، وفي رفعها بالنسبة لنصارى الأندلس، مما شجعهم على مواصلة احتلال باقي المدن الأندلس⁽³⁶⁾.

5- أعقب سقوط قرطبة خضوع معظم المدن الصغيرة والحصون التابعة لها، وتعهد سكانها بدفع الجزية، والسماح بإقامة حاميات نصرانية فيها، نذكر منه أستجة، أشتية، بياسة، مرشانة، قبرة، مورور، قرونة، أشونة، وغيرها⁽³⁷⁾.

6- كان لسقوط قرطبة بمثابة إعلان عن سقوط بقية عواصم الأندلس، إذ اتخذها ملك قشتالة وليون فرناندو الثالث مركزاً للاحتلال، وأصبحت بقية مناطق الشرق والجنوب تحت رحمة جيوشه، واستطاع أن يستولي برضاء ابن الأحمر على أرجونة في سنة 642هـ/1244م، وعلى جيان في سنة 643هـ/1246م، ثم استولى بمعونة ابن الأحمر كذلك على إشبيلية في 05 شعبان 646هـ/1248م، وكانت بلنسية والمناطق القريبة منها قد سقطت في سنة 636هـ/1239م حيث استولى عليها ملك أرغون خايي الأول، وكذلك استولى على دانية في سنة 641هـ/1244م، ثم على لقنت، وسقطت شاطبة في سنة 644هـ/1246م، ومرسية في سنة 665هـ/1267م، ولم يزل النصارى يقتطعون ممالك الأندلس حتى لم يتبق بأيدي المسلمين بعد ذلك غير غرناطة التي استطاع ابن الأحمر أن يكون منها دولة ظلت قائمة مائتين وخمسين سنة أخرى، وفي هذا الأمر يذكر المقرئ ما نصه: ولما أخذت قواعد الأندلس مثل قرطبة وإشبيلية وطليلة ومرسية وغيرها انحاز أهل الإسلام إلى غرناطة والمرية ومالقة ونحوها، وضاق الملك بعد اتساعه، وصارتين العدو يلتقم كل وقت بلداً أو حصناً..."⁽³⁸⁾.

6. خاتمة:

يمكننا القول أن سقوط قرطبة كانت نتيجة تهاون المسلمين بأمور دينهم، وفي إهمالهم لوسائل الدفاع عن هذه المدينة، وفي تفرقهم وتنازعهم حول السلطة، واستعانتهم بالنصارى في حل الخلافات التي كانت تحدث بينهم، وفي تخاذل بعض الحكام في نصرتهم، بل وفي تسليم الكثير من الحصون التي كانت تحمي مدينة قرطبة إلى النصارى، وفي المقابل نرى اتحاد قشتالة وليون في مملكة واحدة، وتوحد كلمتهم، مما مكّنهم من الاستيلاء على هذه المدينة العظيمة وتحويلها إلى بلد نصراني، بعدما كان لمدة 525 سنة مركزا إسلاميا، وصرحا حضاريا ينشر الإسلام والعلم والمعرفة في الأندلس والعالم الإسلامي، بل وحتى في أوروبا.

ومن أهم التوصيات في هذا المجال نذكر ما يلي:

1- ضرورة الاعتناء بالمناطق الحدودية والثغور، ووجوب كون المسلمين دائما على أهبة الاستعداد لأي هجوم محتمل، وبناء الحصون والأربطة، وتجهيز الجيوش والعناية بوسائل الدفاع التي تحمي المسلمين من أي اعتداءات مباغطة.

2- حل الخلافات التي تقع بين المسلمين بأنفسهم، وتوكيل ذلك إلى أهل الحل والعقد ممن يتصفون بالنزاهة والأمانة، دون اللجوء إلى الأطراف الخارجية التي يُجهل حقيقة أمرها.

2- الحذر والحيطه في التعامل مع الأعداء حتى ولو اعتنقوا في الإسلام، وعدم توليهم المراكز الحساسة في الدولة لاحتمال كونهم جواسيس مما يكون له عواقب وخيمة على الدولة، وللأسف الشديد قد وقع هذا كثيرا في البلاد الإسلامية، ومنها كما تذكرنا المصادر مدينة قرطبة.

3- خطورة النزاع والتفرق بين حكام المسلمين، وهذا ما يسهل على الأعداء في تحقيق أهدافهم، وضرورة أخذ العبرة والدروس من حوادث التاريخ لتجنب الوقوع

الدكتور مرزاق بومداح

في نفس الأخطاء، ونلاحظ أن ما حدث في قرطبة قبيل احتلالها من طرف فرناندو الثالث من دخول ابن هود وابن الأحمر في صراع وتنازع حول زعامة الأندلس حدث بنفس الطريقة أيضا في غرناطة قبيل احتلالها من طرف فرناندو الخامس من صراع حول الحكم بين الزغل وابن أخيه محمد الصغير.

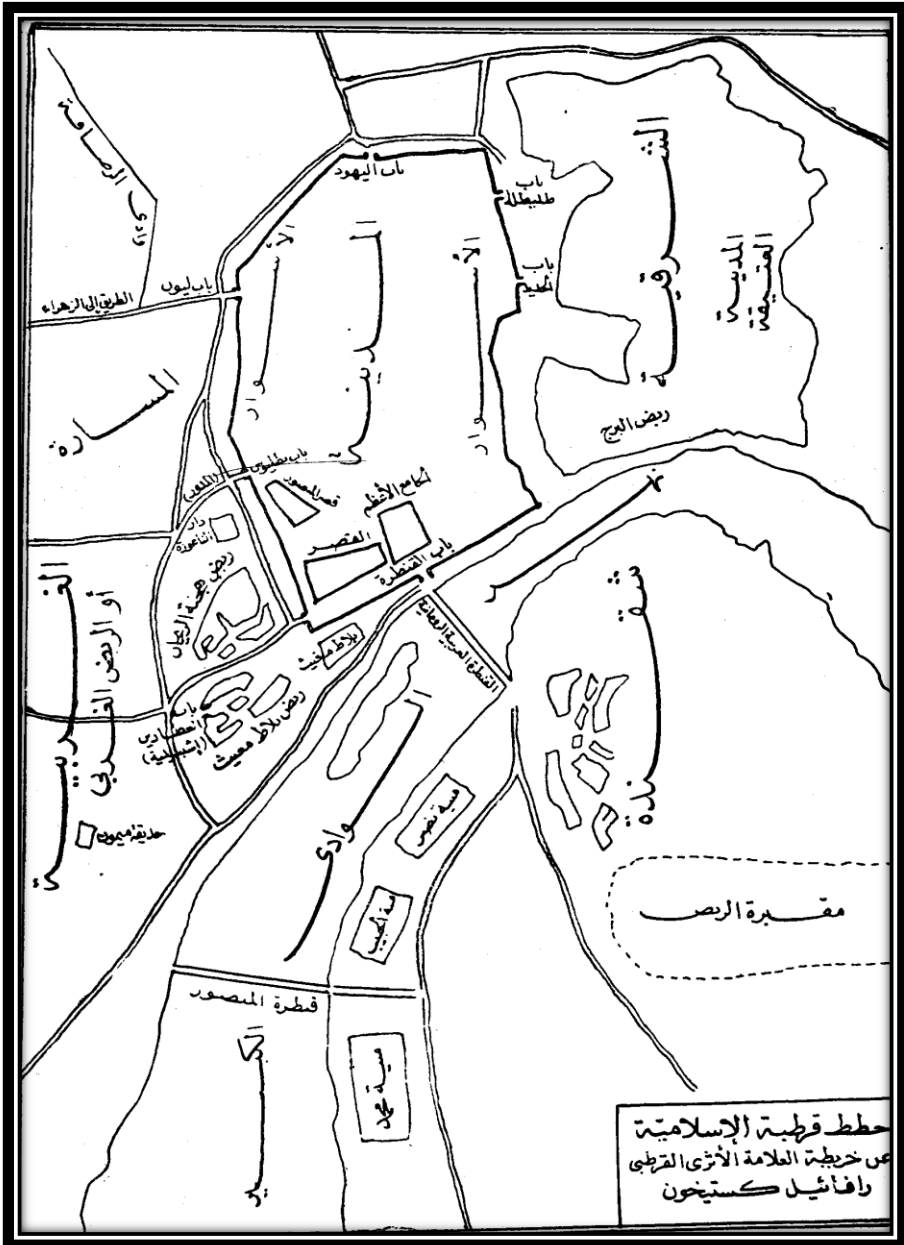
الملحق رقم 01: خريطة تمثل حدود بلاد الأندلس من عهد الموحدين إلى قيام مملكة غرناطة



نقلا عن: حسين مؤنس، 1987م، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة-مصر، ص175

سقوط قرطبة وأثره على مستقبل الوجود الإسلامي في الأندلس (1236/633هـ)

الملحق رقم 02: خريطة تمثل خطط قرطبة الإسلامية



الهوامش:

(1) للمزيد من التفصيل عن تاريخ فتح المسلمين لبلاد الأندلس وعصر الولاة أنظر: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، ص4-101؛ أحمد بن عذارى، 1983هـ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ج2، ص ص 1-48؛ حسين مؤنس، 1421هـ/2000م، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط5، دار الرشاد، القاهرة-مصر، ص ص 267-290.

(2) أنظر: محمد بن فتوح الحميدي، 1966م، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة-مصر، ص ص 8-36؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص ص 38-301، ج3، ص ص 3-152؛ لسان الدين بن الخطيب، 1424هـ، الإجابة في أخبار غرناطة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ج3، ص ص 356-359، أحمد بن محمد المقرئ، 1900م، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، ج1، ص ص 282-301؛ محمد عبد الله عنان، 1417هـ/1997م، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ج1، ص ص 237-669.

(3) ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص ص 153-316؛ عنان، المرجع السابق، ج2، ص ص 11-415؛ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، 2000م، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ص ص 224-250.

(4) محمد بن عبد الله بن الأبار، الحلة السيرة، تحقيق: حسين منس، ط2، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1985م، ج1، ص ص 222-333؛ المقرئ، المصدر

السابق، ج 1، ص ص 439-442؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ص ص 48-151؛
منس، المرجع السابق، ص ص 430-436؛ عنان، المرجع السابق، ج 3، ص
ص 25-154؛ السامرائي، المرجع السابق، ص ص 251-263.

(5) ابن عذارى، المصدر السابق، ج 5، ص ص 258-263؛ عبد الرحمن بن
خلدون، 1408هـ/1988م، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن
عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط 2، دار الفكر، بيروت-لبنان، ج 6، ص
ص 335-336؛ عبد الواحد بن علي المراكشي، 1426هـ/2006م، المعجب في
تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق:
صلاح الدين الهواري، ط 1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت-لبنان، ص ص 234-
235؛ عبد الكريم بن محمد السمعاني، 1382هـ/1962م، الأنساب، تحقيق:
عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد-
الهند، ج 3، ص 224.

(6) -محمد بن هود: هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود من قبيلة جذامة
اليمنية، وكان من أعقاب بني هود الجذامين الذين حكموا الأندلس في عهد ملوك
الطوائف، ¹كالمستعين بن هود الذي حكم سرقسطة، وكان أول أمره مقيما في
سرقسطة، ولما ظهر الخلل في دولة الموحدين ثار عليهم بالصخوريات بمرسية،
وتمكن من الاستيلاء عليها، وخطب للخليفة العباسي ببغداد المستنصر، ولقبه
بالمتمولك على الله، وتنازع مع ابن الأحمر حكم الأندلس، وتوفي مقتولا في سنة 24
جمادى الأولى من سنة 635/21 جانفي 1238م. أنظر: ابن الأبار، المصدر
السابق، ج 2، ص 296؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 218؛ أحمد بن
خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري
ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء-المملكة المغربية، د. ت. ط، ج 2، ص
ص 235-236؛ لسان الدين بن الخطيب، 1956م، كتاب أعمال الأعلام في من

ببيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق: إ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت-لبنان، ص ص 277-279؛ خير الدين بن محمود الزركلي، 2002، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط15، دارالعلم للملإين، بيروت-لبنان، ج7، ص ص 149-150.

(7) -محمد بن الأحمر: هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي يرجع نسبه إلى سعد بن عبادة الأنصاري، أحد كبار صحابة رسول الله،¹ صلى الله عليه وسلم، ويعرفون ببني نصر، ولد ابن الأحمر في عام 519هـ/1195م، وهو عام الأرك، وكان كبيرهم لآخر دولة الموحدين محمد بن يوسف بن نصر، ويعرف بالشيخ والغالب بالله، وكانت لهم وجهة في ناحيتهم، وكان كما يذكر الصفدي حازماً بطلا شجاعاً ذا دين وعفاف. يوسف بن عبد الله بن عبد البر، 1412هـ/1992م، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت-لبنان، ج2، ص ص 594-599؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص218؛ خليل بن أيبك الصفدي، 1420هـ/2000م، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان، ج5، ص ص 166-167.

(8) الليونيون: نسبة إلى مملكة ليون النصرانية أو مملكة جليقية في الرواية الإسلامية، وتمتد من بلاد البشكنس شرقاً إلى شاطئ المحيط غرباً، ومن خليج بسكونية شمالاً إلى نهر دويرة جنوباً، وتشمل مناطق شاسعة من القفر والهضاب الوعرة، وتحتجب وراء الجبال بعيدة عن سلطان المسلمين وغزواتهم. ويعتبر ألفونسو دوق كانتابريا أو ألفونسو الأول الملقب بالكاثوليكي مؤسس المملكة النصرانية الشمالية، وأصل ذلك الثبت الحافل من ملوك قشتالة، الذين لبثوا قروناً يدفعون حدودهم إلى الجنوب تباعاً في قلب المملكة الإسلامية، ثم انتهوا

سقوط قرطبة وأثره على مستقبل الوجود الإسلامي في الأندلس (633هـ/1236م)

بالقضاء عليها والاستيلاء على غرناطة آخر معاقلها (1492 م). عنان، المرجع السابق، ج 1، ص 213.

(9) -ابن الخطيب، المصدر السابق، ج 2، ص ص 74-75؛ الناصري، المصدر السابق، ج 2، ص 235؛ عنان، المرجع السابق، ج 4، ص 411؛ عبد الرحمن علي الحجي، 1402هـ/1981م، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، ط 3، دار القلم، دمشق-سوريا، ص 516-517.

(10) المستنصر بالله: هو أبو جعفر منصور بن الظاهر ولد في صفر 588هـ/1192، بويع بعد موت أبيه في رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة، فنشر العدل في الرعايا، وبذل الإنصاف في القضايا، وقرب أهل العلم والدين، وبنى المساجد والربط والمدارس والمارستانات، وأقام منار الدين، وقمع المتمردة، ونشر السنن، وكف الفتن، وحمل الناس على أقوم سنن، وقام بأمر الجهاد أحسن قيام، وجمع الجيوش لنصر الإسلام، وحفظ الثغور، وافتتح الحصون، توفي في سنة 540هـ/1242م. أنظر: جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، 1425هـ/2004م، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط 1، مكتبة نزار مصطفى الباز، د. م. ط، ص ص 325-327.

(11) ابن الخطيب، كتاب أعمال الأعلام، ص 279؛ عنان، المرجع السابق، ج 4، ص ص 411-412.

(12) لمزيد من التفصيل عن سيرة أبي زكريا الحفصي أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 380-383؛ المرجع السابق، لزركلي، ج 8، ص 155-156

(13) المقري، المصدر السابق، ج 1، ص ص 447-448؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 218؛ عنان، المرجع السابق، ج 4، ص ص 414-415.

(14) ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص218؛ عنان، المرجع السابق، ج4، ص415.

(15) علي بن أبي زرع، 1972م، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط-المملكة المغربية، ص276؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص217؛ عنان، المرجع السابق، ج4، ص ص415-416.

(16) -جاء في الحديث الشريف عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ"، وفي حديث عبد الله قال: قال ¹رسول الله صلى الله عليه وسلم إِنَّ أَوَّلَ إِمَا يُحَكَّمُ بَيْنَ الْعِبَادِ فِي الدِّمَاءِ"، وجاء أيضا عن أبي الحكم البجلي قال: سمعت أبا سعيد الخدري وأبا هريرة يذكران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ"، وذكر الألباني أن هذه الأحاديث الثلاثة صحيحة. أنظر: محمد بن عيسى الترمذي، 1395هـ/1975م، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخران، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ج4، ص ص16-17، رقم الحديث الأول: 1395، ورقم الحديث الثاني: 1396، ورقم الحديث الثالث: 1398.

(17) ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص218؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص276؛ عنان، المرجع السابق، ج4، ص416.

(18) ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص219؛ عنان، المرجع السابق، ج4، ص ص216-217؛ عادل سعيد بشتاوي، 2001م، الأندلسيون المواركة، د. م. ط، ص314.

(19) عنان، المرجع السابق، ج4، ص417.

- (20) -المراكشي، المرجع السابق، ص ص235-236؛ ابن خلدون، المرجع السابق، ج6، ص ص335-339؛ أحمد فكري، 1983م، قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية-مصر، ص148، عنان، المرجع السابق، ج2، ص ص229-233.
- (21) ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص339؛ عنان، المصدر السابق، ج4، ص360؛ فكري، المرجع السابق، ص ص148-149
- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص340؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص ص223-224؛ فكري، المرجع (22) السابق، ص149.
- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص224؛ فكري، المرجع السابق، ص ص149-150. (23)
- فكري، المرجع السابق، ص150؛ عنان، المرجع السابق، ج4، ص418 (24)
- (25) محمد سهيل طقوش، 1431هـ/2010م، تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، بيروت-لبنان، ص565.
- (26) محمد بن عبد الله الحميري، 1408هـ/1988م، صفة جزيرة الأندلس، عني بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشها: إ. ليفي
- بروفنسال ومدير فخري، ط2، دار الجيل، بيروت-لبنان، ص153؛ عنان، المرجع السابق، ج4، ص418؛ طقوش، المرجع السابق، ص565؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص276.
- (27) عنان، المرجع السابق، ج4، ص ص420-421؛ طقوش، المرجع السابق، ص565؛ فكري، المرجع السابق، ص150.
- (28) طقوش، المرجع السابق، ص ص565-566.
- (29) عنان، المرجع السابق، ج4، ص ص422-423؛

(30) نفس المرجع، ج4، ص423؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص276؛ فكري، المرجع السابق، ص151.

(31) عنان، المرجع السابق، ج4، ص ص423؛ طقوش، المرجع السابق، ص566.

(32) لا تقدم إلينا الرواية الإسلامية، أية تفاصيل شافية عن تسليم قرطبة ودخول النصارى إياها، وذلك حسبما فعلت بالنسبة لسقوط بلنسية، وكل ما تذكره في هذا الشأن كلمات موجزة، مثل "وتغلب عليها النصارى " أو "كان دخول النصارى مدينة قرطبة " أو "ملكها النصارى " أو ما شابه هذه العبارات من كلمات مقتضبة. أنظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص276، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، 217؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص448؛ عنان، المرجع السابق، ج4، ص ص423-424؛ فكري، المرجع السابق، ص15؛ طقوش، المرجع السابق، ص566؛ السامرائي، المرجع السابق، ص290.

(33) عنان، المرجع السابق، ج4، ص ص424-425.

(34) علي بن موسى بن سعيد، 1955م، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف ط3، دار المعارف، القاهرة-مصر، ج1، ص57، عنان، المرجع السابق، ج4، ص424.

(35) الحجي، المرجع السابق، ص472، عنان ج4، ص425.

(36) عنان، المرجع السابق، ج4، ص420.

(37) طقوش، المرجع السابق، ص566.

(38) ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص277؛ المقري، المرجع السابق، ج4، ص510؛ ابن خلدون، المصدر ال سابق، ج4 ص2198-220؛ فكري، المرجع السابق، ص161؛ عنان، المرجع السابق ج3، ص32، بشتاوي، المرجع السابق، ص314؛ طقوش، المرجع السابق، ص ص567-575.